الباب الثامن

العرب وأمريكا والمستقبل

كيف يجب أن يتعامل العرب مع أمريكا؟

عن كيفية التعامل مع الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في عالم اليوم يقول الدكتور مصطفى الفقي ، يحاول الجميع أن يخطبوا ودها من العملاق الصيني إلى دول العالم الأخرى، ويمر ذلك التودد إلى الولايات المتحدة في أحيان كثيرة بإظهار دول العالم لتعاطفها مع إسرائيل والرغبة في التعاون معها، وربما يكون هذا بسبب إشارات أمريكية واضحة تدفع الكثيرين إلى محاولة التودد لأمريكا عن طريق إسرائيل المدللة ووقعت بعض الدول العربية في هذا الكمين، فتصورت أن قدرتها على الاقتراب من الولايات المتحدة الأمريكية تأتي من خلال التقرب لإسرائيل، وقطعت في ذلك أشواطا طويلة بفتح قنوات سرية وعلنية مع إسرائيل لمجرد استرضاء البيت الأبيض وطالب الدكتور الفقي بأن يتخذ العرب الطريق العملي في التعامل مع الولايات المتحدة ويتوقفوا عن التفسير التآمري، خاصة مع وجود مصالح استراتيجية لأمريكا في العالم العربي، ومع ضعف الدول العربية في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي، بحيث تم اختزاله إلى نزاع فلسطيني إسرائيلي.

ونصح الدكتور الفقي بأن يتعامل العرب مع أمريكا على أساس المصالح المتبادلة، فيكون وقوفهم مع أمريكا في الحرب ضد الإرهاب في إطار تفاهم بأن لا يحدث خلط بين تعريف الإرهاب وبين المقاومة

المشروعة ضد الاحتلال، وعلى العرب أن يدركوا أن أحداث سبتمبر غيّرت العالم بشكل غير مسبوق وقال إن ما جرى أكبر بكثير مما نرى، ولذلك، حدث تراجع في الدعم الدولي للقضية الفلسطينية بسبب العمليات الانتحارية التي استهدفت المدنيين، وتسببت في دمغ أعمال المقاومة بصفة الإرهاب.

ونبه الدكتور مصطفى الفقي إلى حاجة العالم العربي إلى موجة من الإصلاح السياسي والدستوري والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بغض النظر عن الدعوة الموجهة من الولايات المتحدة للقيام بتلك الإصلاحات التي تستهدف المحافظة على حقوق الإنسان، والتحول الديمقراطي، وتوفير الفرص الاقتصادية لمكافحة الفقر،وبدون التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، سيستحيل على الدول العربية تغيير السياسات الأمريكية إزاء المنطقة مهما حاولت الظهور بمظهر أكثر إشراقا وقال من المستحيل إضفاء صورة مشرقة على أصل سيئ، وعندما تتقدم الأوضاع في العالم العربي، سيظهر صداها وأثرها بشكل فوري في كيفية التعامل مع الولايات المتحدة.

مشاعرُ العداء لأمريكا

أظهرت دراستان أمريكيتان لاستطلاع الآراء في عدد من الدول العربية زيادة متواصلة في مشاعر العداء للولايات المتحدة ولسياساتها في الشرق الأوسط ومع أن الأنظار تركزت في تقرير لجنة التحقيق في هجمات سبتمبر الإرهابية على توصيات خاصة بإعادة تنظيم أجهزة المخابرات الأمريكية ووضعها تحت إشراف مسئول واحد بدرجة وزير، إلا أن من يسبر أغوار التقرير يتأكد من إقرار اللجنة أيضا بتزايد المشاعر المعادية للولايات المتحدة في العالمين العربي والإسلامي والتوصية بزيادة التفاهم والحوار مع الدول العربية والإسلامية ومواجهة حرب الأفكار لكسب العقول والقلوب في تلك الدول.

وفي تعبير اللجنة عن قلقها إزاء خسارة معركة العقول والقلوب ذكر تقريرها أن استطلاعات الراي العام في الدول العربية والإسلامية في عام ٢٠٠٢ أظهرت أن نسبة من يحتفظون بمشاعر مواتية نحو الولايات المتحدة تراوحت بين ٢١ إلى ١٥ %، فقط حتى في الدول الصديقة للولايات المتحدة مثل السعودية ومصر.

وبحلول عام ٢٠٠٣، توسعت رقعة المشاعر المعادية للولايات المتحدة لتغطي أرجاء أخرى من العالم الإسلامي وانخفضت نسبة المحبين لأمريكا في اندونيسيا من ٦١ % إلى ١٥ % ولم تغفل اللجنة أن تنسب تلك

الخسائر في معركة العقول والقلوب إلى السياسة الأمريكية إزاء الصراع العربي الإسرائيلي والحرب التي شنتها الولايات المتحدة على العراق.

ولكنها أوصت كذلك بأن توضح الحكومة الأمريكية من خلال عملها أنها تسعى إلى أن تمثل الولايات المتحدة مثالا للزعامة الأخلاقية في العالم من خلال التعامل الإنساني مع الشعوب واحترام القانون والاهتمام بالآخرين، وأن بالإمكان التوصل إلى اتفاق مع أصدقاء أمريكا من المسلمين على احترام الكرامة الإنسانية والعمل مع الزعماء ذوي الأفكار الطيبة في العالمين العربي والإسلامي للتوصل إلى القواسم المشتركة، والتوقف عن التعاون مع الحكومات القمعية في العالم العربي والعالم الإسلامي ونبه تقرير لجنة التحقيق في هجمات سبتمبر إلى أهمية القيام بجهود جسورة لإعادة تعريف العرب والمسلمين بالمبادئ والقيم الأمريكية ولم يخف نائب رئيس اللجنة عضو الكونجرس السابق لي هاميلتون قلقه من تزايد المشاعر المعادية للولايات المتحدة في العالم العربي وفي مصر بالتحديد حيث وصلت نسبة من يشعرون بتلك المشاعر إلى ٩٨ % وأظهرت دراستان لاستطلاع آراء المواطنين العرب في عدد من الدول العربية زيادة متواصلة في مشاعر العداء للولايات المتحدة ولسياساتها في الشرق الأوسط خاصة الحرب التي شنتها على العراق ومساندتها لسياسات رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون.

وكشف الدكتور شبلي تلحمي أستاذ كرسي أنور السادات للسلام

والتنمية بجامعة ميريلاند النقاب عن نتائج الدراسة التي أجراها في كل من الأردن ولبنان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وشملت ٣٣٠٠ مواطنا عربيا.

وقال الدكتور تلحمي إن زيادة المشاعر المعادية للولايات المتحدة بينهم انعكست في إجاباتهم عن سؤال عن الزعيم السياسي الذي لا يكنون له الإعجاب فجاء شارون في المركز الأول بنسب متفاوتة أعلاها في لبنان والإمارات بنسبة ٦٤ %، ثم المغرب بنسبة ٦٣ %، فالأردن بنسبة ٦١ % والمملكة السعودية بنسبة ٤٩ %.

وكان من الملفت للنظر أن الرئيس بوش جاء في المركز الثاني بعد شارون وكانت أعلى نسبة من غير المحبين له في السعودية حيث وصلت إلى ٣٩ %، ثم المغرب بنسبة ٢٧ %، فلبنان والأردن بنسبة ٢١ %، ثم الإمارات بنسبة ١٩ % وأضاف الدكتور تلحمي أن غالبية من شاركوا في الاستطلاع في خمس من الدول العربية الست التي شملها البحث قالوا إن السياسة الأمريكية إزاء الصراع العربي الإسرائيلي كانت عاملا بالغ الأهمية في تشكيل مواقفهم إزاء الولايات المتحدة، غير أنه أشار كذلك إلى أن شن الحرب على العراق أجج مشاعر الشك في النوايا الأمريكية إزاء المنطقة فقد عبرت غالبية من شملهم الاستطلاع عن اعتقادهم بأن الحافز الرئيسي لشن الحرب كان للسيطرة على ثروات العراق البترولية، وجاء في المركز الثاني حماية أمن إسرائيل.

نشر الحرية بين الحقائق والأوهام

لا زال خطاب إعادة تنصيب الرئيس بوش لفترة رئاسية ثانية، يثير كثيرا من الجدل في الولايات المتحدة بسبب الشعار الذي رفعه لفترة السنوات الأربع القادمة، وهو نشر الحرية في العالم ومساعدة الشعوب المقهورة على التخلص من حكامها الطغاة.

سويس إنفو رصدت جملة من ردود الفعل في الولايات المتحدة في التقرير التالي من واشنطن حاول الرئيس بوش في خطاب إعادة تنصيبه، التخفّي وراء القيّم والمثل التي روّج لها أسلافه من الرؤساء الأمريكيين المحبوبين، مثل وودرو ويلسون، وجون كينيدي، بالحديث عن دور أمريكا في نشر الحرية والديمقراطية في العالم.

ففي خطاب استغرق حوالي ثلث ساعة، أغرق الرئيس بوش في استخدام شعار الحرية ومرادفاتها، فذكر كلمة الحرية ٢٧ مرة والتحرر ١٥ مرة والطغاة ٥ مرات، والعدالة ٥ مرات، والله ٣ مرات، ولم يتلفظ بكلمة العراق أو إيران أو الحرب وربط بوش بين أمن الولايات المتحدة، وبين نجاح الحرية في أنحاء العالم وقال، إن انتشار الحرية هو أفضل أمل للسلام في العالم، وجّه تحذيرا إلى الطغاة في العالم بأن يختاروا بين الطغيان والحرية.

وكانت أخطر عبارة من حيث المسئولية الأخلاقية التي تتحملها أمريكا، تلك التي قال فيها الرئيس بوش للشعوب المقهورة عندما تقفون للمطالبة بحريتكم، فإن الولايات المتحدة ستقف إلى جانبكم ومنذ ذلك اليوم، لم تتوقف التحليلات والتعليقات عن توجيه الانتقادات للطنطنة الخطابية التي لم تنطو على أي خُطة لتنفيذ تلك الشعارات، وكان من الملفت للنظر أن معظم الانتقادات جاءت من محللين ينتمون إلى معسكر الرئيس بوش، وخاصة من معهد أمريكان إنتربرايز، المعروف بتوجهه اليميني، فقالوا إن فحوى الخطاب عظيم من حيث المثل والمبادئ، ولكنه سيكون بالغ الضّرر بالمصالح الأمريكية، إذا لم يقرن الرئيس بوش القول بالعمل وقال مايكل روبن، المسئول السابق بوزارة الدفاع، والذي عمل قبل التحاقه بالمعهد مستشارا للإدارة المدنية الأمريكية في عراق ما بعد الحرب هناك خطر يتمثل في أن يكرر الرئيس بوش خطأ أبيه، عندما دعا الشيعة في العراق إلى القيام بانتفاضة ضد صدام ثم تركهم يتعرضون لقمعه عندما هبوا بانتفاضتهم، وكانت النتيجة لجوءهم لإيران التي تناصبها الولايات المتحدة العداء ونبه المحلل الأمريكي إلى أن الرئيس بوش سبق وصرّح في فترته الرئاسية الأولى بأنه سيُساند التحول نحو الديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير، ولم يقرن تصريحاته بالعمل من أجل تحقيق ذلك الهدف.

أما الباحث اليميني جوشوا مورافيك من معهد أمريكان إنتربرايز،

فحذر من أنه حتى لو اتبع بوش القول بالعمل، فإن الضغط باتجاه إجراء إصلاحات سياسية شاملة يُمكن أن يأتي بأنظمة حكم لا تقل طغيانا، ولكن بتوجهات غير موالية للولايات المتحدة.

وتساءل محللون آخرون عن الوسائل التي يمكن أن يستخدمها الرئيس بوش في نشر الحرية ومحاربة الطغيان، فقال آيفو دالدر، مستشار الرئيس السابق كلنتن للسياسة الخارجية، والخبير الحالي في معهد بروكنجز بواشنطن، إن الرئيس بوش لم يقدم في خطابه مثالا واحدا على كيفية تحقيق هدف نشر الحرية ومكافحة الطغيان، فهل سيَقدم بوش على استخدام التدخل العسكري لنشر الديمقراطية؟ إن المأزق الحالي للقوات الأمريكية في العراق لا يُنبئ باحتمال تكرار ذلك الأسلوب لذلك، كان الرئيس بوش حريصا على أن يقرن دعوته لنشر الحرية بعبارة أخرى إن نشر الحرية ليست مهمة عسكرية بالدرجة الأولى ويرى المحللون الأمريكيون أنه قد يلجأ إلى العمليات السرية أو إلى تقديم المساعدات في الخفاء ضد الطغاة، أو إلى استخدام الضغوط الأمريكية لتحقيق الإصلاحات السياسية والتحول نحو الديمقراطية ومع شيوع الطغاة في العالم العربي، فإن إدارة بوش لا تثير المتاعب إلا مع عدد ضئيل من الحكام العرب الذين لا يرضخون تماما للولايات المتحدة

العلاقات في مرحلة الانهيار

يمكن القول دون مغالاة أن الانجاز البارز لإدارة بوش إذا جاز لنا أن نسمي ذلك انجازاً هو أنها نجحت في تدمير العلاقات العربية-الأمريكية وإنهاء أي آفاق لعلاقات قائمة على الثقة والاحترام المتبادل، فالعلاقات الراهنة، بعد أحداث ١١ سبتمبر وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، بين العرب وأمريكا لا يمكن اعتبارها بحال من الأحوال علاقات طبيعية لأن الطابع الغالب عليها هو لغة التهديد والابتزاز والضغوط وفرض الإملاءات من جانب أمريكا على الدول العربية وإذا نظرنا إلى واقع العلاقات العربية-الأمريكية حتى على الصعيد الشعبي، فيمكن القول أن هذه العلاقات لم تصل في تاريخها إلى حال من السوء والتردي كما وصلت إليه في ظل إدارة بوش التي يسيطر على توجيه سياساتها تجاه العالم العربي والإسلامي مجموعة من الكارهين لكل ما هو عربي وإسلامي ممن يسمون تيار المحافظين الجدد في اليمين المسيحي الأمريكي المتحالف عضويا مع اللوبي الصهيوني وقد كشفت دراسة أمريكية حديثة مدى تراجع شعبية الولايات المتحدة في العالم العربي والإسلامي إلى أقل مما كانت عليه قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر،على الرغم من الحملات الدعائية التي نفذتها الخارجية الأمريكية لتحسين صورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي في محاولة للإجابة

على التساؤل الأمريكي الذي مازال حائرا ومعلقا في الذهن الأمريكي وهو لماذا يكرهوننا؟ فقد كشفت دراسة أعدها المكتب العام للمحاسبة التابع للكونجرس الأمريكي أن شعبية أمريكا في الأردن مثلا تراجعت من ٢٥% إلى ١% فقط، وتراجعت في لبنان من ٣٥% إلى ٢٧%، وفي المغرب من ٧٧% إلى ٢٧%، وفي أندونيسيا من ٧٥% إلى ١٥%، وفي باكستان من ٢٣% إلى ١٣%، وفي تركيا من ٥٢% إلى ١٥% وتظهر هذه النتائج مجددا مدى الفشل الذريع الذي أحدثته السياسات الأمريكية في محاولة تحسين صورتها في العالم العربي والإسلامي، والفشل المزمن والمتكرر في الإجابة على تساؤل: لماذا يكرهوننا؟ فلا شك أن الكثير من الكتابات والتحليلات السياسية العربية قد نشرت على مدى السنوات الماضية لإيضاح السبب المركزي والجوهري لكراهية السياسة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي، وهو الانحياز الأمريكي المطلق للكيان الصهيوني واستمرار مساندة أمريكا لإسرائيل في إنكار حقوق الشعب الفلسطيني واغتصاب المقدسات العربية الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف، وهي قضية تشغل تفكير أكثر من مليار مسلم يؤمنون أن القدس والمسجد الأقصى وحماية المقدسات المسيحية في القدس انطلاقا من وصايا العهدة العُمرية هي أمانة في أعناقهم إلى يوم الدين ولكن أمريكا، دأبت على تجاهل هذه الوقائع والحقائق التي تتحكم في مشاعر وتفكير العرب والمسلمين، وظلت تنظر إليها بعدم

اكتراث وتمعن في سياسات الدعم الأعمى لإسرائيل، حتى أنه في عهد إدارة بوش الحالية أصبح شارون الإرهابي العريق ومجرم الحرب والسفاح الشهير بمثابة رجل سلام، وبات الإرهاب الوحشي الهمجي الإسرائيلي المتواصل ضد الشعب الفلسطيني بمثابة دفاع مشروع عن النفس في ظل هذه التوجهات كان لابد أن تتدهور صورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي أكثر فأكثر، خاصة بعد شن أمريكا حربها العدوانية على العراق واحتلالها درة الحضارة العربية والإسلامية بغداد، تحت مزاعم زائفة وحملة أكاذيب انتهت إلى فضيحة أخلاقية وسياسية تمثلت في فضيحة عراق جيت في ظل الفشل الأمريكي الذريع في العثور على أسلحة الدمار الشامل المزعومة في أراضي العراق والتي اعتبرتها إدارة بوش بمثابة الخطر الأعظم الذي يتهدد الأمن القومي الأمريكي، ليصحو العالم بعد الاحتلال الأمريكي للعراق فيكتشف أنها الأكذوبة الكبرى في التاريخ الحديث، وأن أهداف الحرب الأمريكية في العراق هي أهداف استعمارية بالدرجة الأولى غايتها الهيمنة على النفط العراقي وتكريس الهيمنة الاستعمارية الأمريكية-الصهيونية على المنطقة العربية.

فالصورة العامة لإدارة بوش في العقل العربي اليوم هي أن عهدها بمثابة كابوس صهيوني جاثم على الصدور والنفوس العربية، بعد أن تأكد للجميع أن العصابة الصهيونية من تجار الحروب في البنتاجون قد

اختطفت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وباتت توجهها بشكل استفزازي وبلا حياء وعلى نحو متغطرس ومتعجرف لمصلحة إسرائيل وضد المصالح العربية ولم تتكرس هذه الصورة السلبية والقائمة للسياسة الأمريكية في أذهان العرب والمسلمين في العالم العربي والإسلامي فقط، ولكنها باتت حقيقة مؤكدة أيضاً لدى ملايين العرب والمسلمين المهاجرين إلى أمريكا الذين باتوا يجأرون بالشكوى من الانتهاكات المتعمدة لحقوقهم المدنية والانسانية وممارسات التمييز ضدهم داخل أمريكا .

تحول استراتيجي في الموقف الأمريكي

يشكل خطاب أوباما الذي اقترح فيه عودة الفلسطينيين والإسرائيليين إلى التفاوض خطوة كبيرة إلى الخلف بالنسبة للموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية، وذلك بالرغم من مطالبة الطرفين باعتبار خطوط ١٩٦٧ أساسا لرسم الحدود بين الدولة الفلسطينية المقترحة وإسرائيل إذ بدلا من تقديم أفكار جديدة تساعد على إحياء عملية التفاوض، قام أوباما بالتغاضي عن ذكر قضايا النزاع الأخرى التي لا يمكن إحلال سلام دون حلها وحيث أن أوباما يعلم تماما أن تلك القضايا هي جزء لا يتجزأ من الصراع العربي الصهيوني، فإن إهمالها يشير إلى تغير استراتيجي في الموقف الأمريكي، أو ربما يؤكد موقفا أمريكيا ثابتا كنا نجهله .

لقد طالب أوباما الطرفين بالتفاوض، لكنه وضع ما يكفي من العراقيل لفشل عملية التفاوض قبل أن تبدأ، بل قام بالفعل بجعل احتمالات العودة للتفاوض شبه مستحيلة ولقد جاءت العراقيل التي وضعها أوباما لأول مرة لتعكس مدى التحول في الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية، ويمكن تحديد تلك العراقيل في النقاط التالية:

١ـ مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية.

٢ـ مطالبة السلطة الوطنية الفلسطينية بالرجوع عن الاتفاق مع حماس.

٣ـ القول بأن أمريكا لن تسمح بتوجيه النقد لإسرائيل في المحافل الدولية.

إن مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية تعني مطالبتهم بالتنازل عن حق العودة، كما تعني أيضا قبول أمريكا بعمليات التطهير العرقي التي قامت بها إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ضد الشعب الفلسطيني وما دام هناك اعتراف أمريكي بأن إسرائيل دولة يهودية، فإن اعترافا فلسطينيا إضافيا يعطي إسرائيل ما تحتاجه من أعذار لاستكمال عملية التطهير العرقي ضد الفلسطينيين وطرد عرب الداخل من بيوتهم ومدنهم وقراهم في حيفا ويافا والرملة والناصرة والقدس وعكا وغيرها من مدن وقرى محتلة منذ عام ١٩٤٨ وتهجيرهم من وطنهم وما دامت حدود الدولة الفلسطينية المقترحة سيتم تعديلها لتمكين إسرائيل من ضم معظم المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية، فإن عمليات التطهير

العرقي سوف تطال العديد من القرى الفلسطينية في الضفة بموافقة أمريكية وحيث أنه ليس من الممكن لأي طرف فلسطيني أن يقبل بمثل هذه الشروط والنتائج المترتبة عليها، فإن اقتراح أوباما بالعودة لعملية التفاوض ليس اقتراحا جديا، بل حيلة للخروج من مأزق سياسي داخلي، ومحاولة للتحايل على السعودية وخداع العرب .

أما مطالبة السلطة الوطنية بالرجوع عن الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع حماس، وذلك باعتبار حماس منظمة إرهابية، فيعني ببساطة أن أمريكا لا تريد أولا أن ترى الشعب الفلسطيني موحدا، ولا تريد ثانيا التوصل لاتفاق سلمي من الممكن أن يحظى بموافقة غالبية الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع، إن كافة الاطراف المعنية تعلم تماما أن تسوية سياسية لا تحظى بقبول أغلبية الشعب الفلسطيني وقواه السياسية لن يُكتب لها النجاح ولن تُطبق على الأرض لذلك تبدو محاولة عزل حماس هي في حد ذاتها محاولة لإفشال عملية التفاوض في حالة العودة إليها ومما يؤكد هذه النوايا أن أمريكا سارعت بالضغط على فرنسا لسحب مبادرتها الرامية لجمع الفلسطينيين والإسرائيليين بعد أن قبلها الرئيس عباس وقبل أن يرفضها نتنياهو .

المطلوب أمريكيا إذن ليس بدء جولة مفاوضات جديدة، بل إفشال أية مبادرة تبدو جادة وتحميل الفلسطينيين والعرب مسئولية الفشل.

حين طالب أوباما، أستاذ القانون سابقا، بالاعتراف بإسرايل دولة

يهودية، كان أوباما يخالف روح الدستور الأمريكي الذي يفصل الدولة عن الدين فصلا تاما إن كل دولة تقوم على دين هي دولة عنصرية، تقول لمواطنيها من أتباع الديانات الأخرى بأن الدولة ليست لهم، وأن الوطن ليس وطنهم، وأنهم ليسوا شركاء، مما يفتح المجال أمامها لمعاملتهم كأجانب يقيمون مؤقتا في أراضيها أو عبيد ليس لهم حقوق سياسية أو إنسانية ومن ناحية أخرى، حين قال أوباما إن أمريكا لن تسمح بتوجيه النقد لإسرائيل في المحافل الدولية جاءت أقواله مخالفة للعملية الديمقراطية التي تقوم أصلا على النقد والحوار وحين حذر أوباما الفلسطينيين من الذهاب إلى الأمم المتحدة مطالبين المجتمع الدولي بالاعتراف بهم، كان أوباما يناقض فكرة حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب كما تنص عليه مبادئ الأمم المتحدة .

مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر يجيب عن سؤال حول الوضع في كوريا قائلا إن الوضع الحالي هو الأفضل بالنسبة لنا لأنه يخدم المصالح الأمريكية وهذا يعني بوضوح بالغ أن أمريكا لا تريد حلا للمشكلة الكورية، بل ترى مصلحتها في بقاء الوضع المتوتر الراهن على حاله.

لا شك أن أمريكا تعرف كل الحقائق عن المشكلة الفلسطينية وجرائم إسرائيل وعمليات التطهير العرقي منذ قيام ذلك الكيان العنصري في عام ١٩٤٨كما أن أمريكا كانت، وحتى بداية الثمانينات، هي صاحبة القرار

فيما يتعلق بالشرق الأوسط، وكانت إسرائيل تابعة لها تبعية شبه كاملة. لكن أمريكا لم تحاول الضغط على إسرائيل واجبارها على الانسحاب حتى حدود ١٩٦٧، كما فعل أيزنهاور في عام ١٩٥٦ وبسبب ما تتمتع به الصهيونية العالمية من ذكاء ونفوذ وتنظيم وإدارة، قامت أولا باستعمار العقل الغربي عامة والأمريكي خاصة، والتسلل ثانيا لمراكز صنع القرار في أمريكا الواحد تلو الآخر وشراء ضمائر معظم ساستها والهيمنة على الإعلام، وبالتالي قلب المعادلة السابقة وتحويل أمريكا إلى دولة تابعة لها .

إن سياسة فرّقْ تَسُدْ التي استخدمتها بريطانيا بكفاءة عالية لإحكام سيطرتها على نصف العالم لمدة ١٥٠ سنة متتالية تقريبا، طورتها أمريكا وإسرائيل إلى سياسة جَزِّءْ تُسُدْ، أي تجزئة كل قطر إلى دويلات ضعيفة وتابعة لا تستطيع العيش دون حماية أجنبية ولما كان للحماية ثمن، فإن كل الدول التابعة لأمريكا وإسرائيل أصبحت دولا مُستعبدة، قادتها موظفين لدى المؤسسة السياسية الاستعمارية، ومثقفي السلطة فيها عملاء لدى مخابرات الدولة الاستعمارية، وأرضها وسماؤها وحياة سكانها مستباحة إن ما يجري اليوم في العراق وباكستان وأفغانستان والسودان والضفة الغربية يكفي لإثبات هذه النظرية .

التباين العربى بين الرفض والقبول بسياسات أمريكا

منذ خروج الولايات المتحدة الأمريكية منتصرة في الحرب العالمية الثانية ، والعلاقة بين العرب وأمريكا لم تستقر على حال ، ومنذ ذلك التاريخ والعلاقة بين الحكومات العربية وشعوبها تجاه الولاء أو عدمه لأمريكا هي الأخرى ما شهدت استقرار ، دول عربية تفتح سجونها وتجلد مواطنيها لأنها ترفع شعار الموت لأمريكا ودول أخرى تمارس التنكيل والتعذيب لمن يرفع شعار الولاء لأمريكا والدول العربية التي تغازل أمريكا وتستجدي رضاها ، ترى فيها القوّة العظمى في العالم والدولة الأقوى التي لا يمكن الاستغناء عنها ، ورفع شعارات العداء لها يوقعها في مشكلات كبيرة ، ولديهم شواهد على الدول التي وقفت في مواجهة أمريكا ، وكيف ذاقت الأمرّين من هذه المواجهة ؟ والدول الأخرى التي تتصرف على أساس المخاصمة لأمريكا لديها من التصورات المبنية على فاعلية القوى الكامنة في العالم العربي ، والإمكانيات المادية والبشرية التي من شأنها الوقوف بوجه أمريكا وتخفف من تأثيرها السيئ على عموم المنطقة والتدخل السافر في شئونها .

ومع كلّ حدث كبير يواجه العرب ، تبدأ الجامعة العربية بعقد قمّة يحضر فيها الرؤساء والملوك العرب متصافحين متعانقين ، ويخرجون منها مختلفين متخاصمين ، والسبب الرئيسي في كلّ ما يحدث هو أمريكا

ورغم أنّ الساحة العالمية شهدت تغييرات كبيرة في خريطتها السياسية ، وحدثت انعطافات حادة في سياسة التوازن الدولي وبدأ يرسم للعالم خريطة اقتصادية جديدة ، انتقلت بموجبها إلى الصف الأمامي وانسحبت دول إلى الخطوط الخلفية ، إلا أنّ ألازمة العربية ـ العربية فيما يتعلق بعلاقة القرب والبعد من أمريكا بقيت تسير على وتر واحد،وبعض الدول بدأ التصاقها بأمريكا أكثر وبدأت تدخل معها دائرة المصير الواحد ، وبعض الدول بدأت تخفف لهجتها القاسية وخطابها الصارخ وتتحول إلى لغة التحدي الباردة .

هذا الجانب الذي يتعلق بالحكومات العربية تجاه أمريكا ، يقابله جانب آخر يتعلق بالشعوب العربية التي أخذت نهجا مغايرا لحكوماتها ، إذ أنّ الفجوة بدأت تتسع ، وتنامى مشاعر الكره لأمريكا أخذ يسير بوتيرة عالية،ولغة الخطاب التي كانت تتسم بالهمس بدأت تأخذ شكلا آخر وصل إلى حد المواجهات الدامية بين الشعوب والحكومات ، وبدأ الطرفان يستعد أحدهما للآخر بكلّ الأساليب المتاحة لهما ، حكومات تريد أن تخنق صوت شعوبها ، وشعوب تجاهد لترفع صوتها لكي يسمعه العالم أجمع وعدم استقامة العلاقات العربية ـ الأمريكية يحصره بعض المفكرين في انحياز أمريكا المطلق للسياسة الإسرائيلية ضد العرب منذ احتلالها للأراضي العربية وإلى يومنا هذا ، وهذا التفسير يحمل في طياته بعض وجوه المشكلة لاسيّما إذا استعرضنا التبني الأمريكي لوجهة النظر

الإسرائيلية على امتداد الفترة الطويلة المنصرمة ، لكنّ هذا لم يكن السبب الرئيسي الذي يحصر تذبذب العلاقة بين الطرفين والسبب الرئيسي يكمن في طبيعة التعامل بين الطرفين وخصوصية هذا التعامل من كلّ طرف ، فالدول العربية تذهب إلى البيت الأبيض راغبة في وجود أحد يسمع صوتها ، وأمريكا لا تريد أن تسمع ، بل تريد أن يسمع العرب ما تملي عليهم ، وعلى الأنظمة العربية أن تطيع وتنفّذ وتدفع لأمريكا ما تريد كأجور حماية لهم فالأنظمة العربية تجتمع وتقرر وتذهب إلى واشنطن ، ثمّ لا تجد أمامها غير سلّة المهملات لوضع كلّ ما تريد قوله فيها ، وأمريكا عندما تخطط لغزو المريخ أو غزو بلد عربي ، فعلى الحكومات العربية أن تدفع فواتير هذا الغزو مع الشكر ، وألا فعليها مواجهة جميع أشكال البطش والقمع والحصار ، والاحتلال الأمريكي للعراق شاهدا على ذلك .

العلاقات العربية الأمريكية .. إلى أين؟

تمر العلاقات العربية الأمريكية منذ هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية بمرحلة من التدهور وشابها كثير من الشك وعدم الثقة المتبادلة بين العالم العربي وأمريكا وسرعان ما انتقلت هذه المشاعر من المستوى الحكومي إلى المستوى الشعبي، حيث أصبح كثير من الأمريكيين ينظرون إلى العالم العربي كنقطة تخلف بعيدة عن الحضارة

إن الولايات المتحدة تحتاج إلى استخدام وسائل أخرى غير استعراض العضلات واستخدام القوة المسلحة في التعامل مع العالم العربي السيد إدوارد غابرييل، السفير الأمريكي السابق لدى المغرب

أظهرت أحدث دراسة قامت بها مجموعة من الخبراء والمسؤولين والدبلوماسيين الأمريكيين السابقين، نظمها مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية في واشنطن، أن عدد العرب الذين يفدون إلى الولايات المتحدة، سواء للدراسة أو للتجارة أو للسياحة أو حتى للعلاج الطبي، قد انخفض بشكل مُذهل. كما أن مشاعر الخوف والغضب والإحباط أصبحت سِمات تصف العلاقة بين العرب والأمريكيين بشكل خلق فجوة خطيرة في الثقة بين الجانبين، وتتسع تلك الفجوة يوما بعد يوم وتوصلت الدراسة، التي أشرف عليها وزير الدفاع الأمريكي السابق وليام كوهين، والسفير الأمريكي السابق لدى المغرب إدوارد غابرييل، أن الصراع العربي الإسرائيلي والغزو الأمريكي للعراق هما أكبر التحديات التي تقف أمام أي فرصة لتحسين العلاقات العربية الأمريكية، وأنه بدون إنهاء العُنف والفوضى في العراق، وسحب القوات الأمريكية وبدون إظهار واشنطن لدور نشط وريادي في التوصل إلى تسوية عادلة وشاملة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، سيظل العرب ينظرون بعين الشك والريبة لأي هدف تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه في المنطقة، حتى

ولو كان الإصلاح والتحول نحو الديمقراطية وكان من الملفت للنظر في تلك الدراسة، أنها أظهرت أن غالبية المثقفين وصنّاع القرار وقادة منظمات المجتمع المدني في العالم العربي، باتوا يعتقدون بأن الولايات المتحدة تشُن حربا على العالم العربي أو تستهدف الإسلام، وأنها لا تسمع بأذن صاغية لما يقوله الآخرون، حيث تعمد إلى الإملاء بدلا من الحوار، وكأن على باقي دول وشعوب العالم السمع والطاعة وفي هذا الصدد، أعرب السفير إدوارد جابرييل عن اعتقاده بأن الطريقة التي تتحدث بها الولايات المتحدة مع العالم العربي بالغة الأهمية في تحديد مسار مستقبل العلاقات العربية الأمريكية، إما نحو المواجهة أو نحو الحوار والتعاون، لأنها تعكِس مدى الاحترام أو عدم الاحترام ومدى الرغبة في سماع وجهات النظر العربية أو تجاهلها والولايات المتحدة تحتاج إلى استخدام وسائل أخرى غير استعراض العضلات واستخدام القوة المسلحة في التعامل مع العالم العربي وأجرت مؤسسة زغبي إنترناشيونال لبحوث الرأي العام استطلاعا للآراء شمَل أكثر من ثلاثة آلاف مواطن عربي في كل من مصر والأردن ولبنان والسعودية والإمارات والمغرب وبعكس ما يُروِّج له كثير من المسئولين الأمريكيين من أن المشاعر المناهضة للولايات المتحدة في العالم العربي تعود إلى عدم حصول المواطن العربي على معلومات صحيحة عن الولايات المتحدة وقيمها ومبادئها، أظهر الاستطلاع أن السبب الرئيسي في ارتفاع

وتيرة المشاعر المعادية للولايات المتحدة في العالم العربي يعود إلى السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، وليس لجهل العرب بالقيّم أو الإنجازات الأمريكية، حيث زادت المشاعر المعادية للولايات المتحدة خلال العامين الماضيين حتى بين شعوب الدول التي تعد تقليديا دولا عربية حليفة لواشنطن، كمصر والأردن والمغرب، بينما احتفظت نسبة كبيرة من الغاضبين العرب من سياسة أمريكا الخارجية بمشاعر إيجابية إزاء الديمقراطية الأمريكية، وتقدم العلوم والتكنولوجيا، وارتقاء التعليم في أمريكا وانتقدت دراسة مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية عن مستقبل العلاقات العربية الأمريكية محاولات تحسين صورة أمريكا من خلال راديو سوا وقناة الحرة ومجلة هاي ووصفتها الدراسة بأنها محاولات ضلت السبيل. وجاء في الدراسة أنه بوسع الولايات المتحدة أن تعيش بدون محبة العالم العربي، غير أنه لو ظل العالم العربي في حالة الاهتياج المستمر، بينما تجمع أبناءه مشاعر معادية للولايات المتحدة، فإن من شأن ذلك أن يُقوض أمن الولايات المتحدة وحلفائها على مدى عشرات السنين، ما لم تتحرك الآن وخلصت إلى أن تحسين العلاقات العربية الأمريكية على مدى العقود القليلة القادمة يتطلّب التزاما من صنّاع القرار والمواطنين العرب والأمريكيين على حدّ سواء ببناء شراكة قوية مع الجانب الآخر ورغم الأهمية القصوى لتلك الشراكة، فإن إقامتها الآن أصعب بكثير من أي وقت مضى، حيث لم يهدأ غضب العديد

من الأمريكيين إزاء العرب، حتى بعد مرور ثلاثة أعوام على هجمات سبتمبر التي شنّتها مجموعة من الشباب العرب وعلى الجانب الآخر، لم يسبق أن وصلت المشاعر المعادية للولايات المتحدة في العالم العربي إلى مثل المستوى الخطير الذي وصلت إليه الآن، والذي تفاقم بسبب إجراءات تقييد تأشيرات الدخول للعرب، وما تعرّض له بعض العرب في أمريكا من مضايقات وسوء معاملة.

سبل تحسين العلاقات

يقترح الدكتور جون ديوك آنتوني مدير مجلس العلاقات العربية الأمريكية في واشنطن عدة سبل يمكن من خلالها تجاوز هواجس صراع الحضارات وتحسين العلاقات العربية الأمريكية:

أولا: أن يظهر قادة الولايات المتحدة القناعة والشجاعة المطلوبة لاتخاذ كل ما من شأنه تحقيق المصالح القومية الأمريكية وعلى رأسها اتخاذ موقف نزيه من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ينطوي على دور الشريك الكامل القادر على اتخاذ مواقف حاسمة من الاحتلال الإسرائيلي غير المشروع للأراضي الفلسطينية.

ثانيا: أن يظهر الكونجرس والحكومة الأمريكية استعدادهما للقيام بدور متوازن ونزيه في التعامل مع الدول العربية استنادا إلى المعرفة والتفاهم.

ثالثا: الكف عن التصرف بمعزل عن خبرات وتجارب أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة العربية والبدء في التشاور معهم والاستماع لوجهات نظرهم.

رابعا: أن تبذل كل من الحكومة الأمريكية والكونجرس قصارى جهودهما للتأكد من أن القرارات والإجراءات التي يقدمان عليها تدعم أفضل مصلحة للولايات المتحدة وليس مصلحة دولة أخرى.

خامسا: مع التسليم بأن القانون الأمريكي يسمح لجماعات الضغط بممارسة التأثير على صناعة القرار، فإنه ينبغي ألا يؤدي مثل ذلك القرار إلى إلحاق الضرر بمصالح الولايات المتحدة في العالم العربي لمجرد إرضاء طرف خارجي.

ويري السفير المصري في واشنطن أن هناك مسئولية ضخمة تقع على عاتق الطرفين العربي والأمريكي لمواجهة التنافس بين دعاة الكراهية وبين غلاة المتحمسين القوميين لدق إسفين بين الولايات المتحدة من جهة والعرب والمسلمين من جهة أخرى ونبه إلى الحاجة للدخول في شراكة أقوى للتعامل مع الساعين لمواجهة ليس لها ما يبررها بين الحضارة العربية والإسلامية من جهة وبين الحضارة الغربية والولايات المتحدة من جهة أخرى.

وأنه ليس بمقدور الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في عالم اليوم أن تتجاهل مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط، لذلك يجب أن

تسعى لأن يكون لها علاقات طيبة مع دول المنطقة وعلى رأسها مصر.

أما ما يتعين على الطرف العربي عمله للخروج من الأزمة الحالية في العلاقات العربية الأمريكية فيلخصه الدكتور عبد المنعم سعيد بقوله يجب أن يسعى العرب إلى الخروج من هذه الأزمة لأن استمرارها سيعني زيادة في التدهور الحضاري والأخلاقي في نظرة كل جانب إلى الجانب الآخر وإهدار المزيد من الفرص التي سنحت للتقريب بين مواقف الطرفين مما سيؤدي في نهاية المطاف إلى السماح للمتطرفين بتوسيع نطاق الأزمة وتحويلها إلى صراع للحضارات ينطوي على تعميق الكراهية ويرى الخبير الاستراتيجي أن أفضل السبل الاستراتيجية للتعامل مع الأزمة الراهنة في العلاقات العربية الأمريكية هو الابتعاد عن التصعيد نحو المواجهة ومد يد التعاون لرأب الصدع الذي حدث، كما يجب على الطرف العربي كذلك أن يخرج من عملية التراجع الحالي إلى مبادرة للتعاون والتفاهم مبنية على توفير الحوافز للولايات المتحدة عن طريق إقناعها بأن كل خطوة تتخذها للتوصل إلى حل عادل وشامل للمشكلة الفلسطينية ونهاية مبشرة بالخير للشعب العراقي ستضيف مكاسب جديدة تكسبها المصالح الأمريكية في العالم العربي والإسلامي

رؤية لمستقبل العلاقات

تنطوى دراسة مستقبل العلاقات العربية الأمريكية على مشكلات منهجيه وتاريخية متعددة بعضها يتعلق بطبيعة العلاقة ما بين دولة واحدة وإقليم تتعدد فيه السيادات والتوجيهات تجاه هذه الدولة كذلك فإن هذه العلاقة تتضمن أطراف ثالثة متعددة تؤثر فى تركيبة النظام الدولى مثل أوروبا والاتحاد السوفيتى واليابان والصين، وأخرى تؤثر بشكل فعال فى النظام الإقليمى العربى مثل إسرائيل، هذا بالإضافة إلى بعض المؤثرات النوعية الأخرى مثل حجم الموارد الطبيعية فى العالم ومدى توزيعها بين الدول المشتركة فى النظام العالمى، وخاصة فيما يتعلق بموضوعى الطاقة والغذاء وبالإضافة إلى وضع طرفى العلاقة فى النظام الدولى، فإنه من الصعوبة بمكان طرح مستقبل العلاقة ذاتها دون النظر إلى التطورات الداخلية التى تحدث فى كل منها خاصة بين الدول العربية وداخل كل منها ومما يعقد آيه نظرة على مستقبل هذه العلاقة أنه تتم وسط أنماط معقدة من الأحداث السياسية والأمنية والعسكرية فى النظام الدولى(١) بما يحتويه ذلك من درجات متعددة من التعاون والصراع والتنافس بين هذه التكتلات بالإضافة إلى الأحداث الاقتصادية الدولية

---

١) عن مقال للدكتور عبد المنعم سعيد – بدون تصرف

التى تربط بالنظام التجارى العالمى والنظام النقدى العالمى ولا تنفصل تطورات هذه العلاقة بين التطورات المتوقعة فى تكنولوجيا السلاح والطاقة والاتصالات والطيران والفضاء والمواصلات والعقول الإلكترونية ومجالات تطبيقها القضية إذن بالغة التعقيد ولا يسهل علم المستقبليات من عملية الاقتراب منها أو التصدى لها بقدر معقول من اليقين فبشكل عام فإن هذا العلم يسير فى ثلاثة مسارات كل منها له عيوبه ومزاياه المسار الأول و ينطلق من الماضى والحاضر إلى المستقبل من حيث يكون الأخير امتدادا لعلاقات موجودة بالفعل وتتوافر بمعدلات معينة بحيث يمكن تصور النقطة التى سوف يصل إليها اتجاه ما عند نقطة زمنية محددة فى المستقبل أما المسار الثانى: فهو مسار قيمى يقوم على تشكيل صورة مثالية فى المستقبل بحيث تفرض على الحاضر ضرورة اتخاذ مسارات معينة لتحقيق هذه الصورة أما المسار الثالث: فيعتمد أسلوب السيناريو بحيث يكون تطور علاقة، من اتجاه محدد رهنا بتوفر شروط معينة، وهكذا فإن تعدد الشروط يمكن أن يعطى عددا مختلفا ومتنوعا من السيناريوهات أو الاحتمالات لتطور هذه العلاقة ويتميز المسار الأول بوقوعه أسير للواقع وعدم القدرة على أخذ التطورات الكيفية موضع الاعتبار، وذلك رغم واقعيته واستناده إلى مادة تجريبية يعتد بها أما المسار الثانى للمستقبل فبرغم مثاليته وقدرته على تخيل التغيرات المحققة ، فإنه يتميز بقدر كبير من عدم الموضوعية والاستناد

إلى الخيال فضلا عن الخوف من تحيز الباحث فى بناء الصورة المستقبلية وأخيرا فأن المسار الثالث يحاول الجمع ما بين الأسلوبين، ولكنه فى محاولته هذه إما أن تتعدد السيناريوهات إلى أعداد كبيرة فيصبح كل شئ ممكنا فى المستقبل وهو ما يحرمه من صدقه العلمي، أو أن تتحدد هذه السيناريوهات فى عدد محدد حسب أهواء الباحث وفى كل الأحوال فإن المستقبل لا يمكنه أن يتجاهل المتغيرات التى تحدث بالفعل فى الواقع، ولا قدرا من الخيال فى استنباط المتغيرات الكيفية التى سوف تحدث فى المستقبل للعلاقة ورغم كل هذه الصعوبات فإن الباحث لا يسعه إلا أن يتصدى لموضوع مستقبل العلاقات الأمريكية العربية فلا يستطيع أحد أن يتجاهل دور الولايات المتحدة فى السياسة العالمية عامة وتجاه منطقتنا العربية خاصة وربما يكون أسلم الطرق أن نبسط من التجربة التاريخية للماضى والحاضر أنماطا للعلاقة سوف تستمر فى المستقبل مع النظر فى الشروط التى يمكن أن تتوافر لكى تتغير أى هذه الأنماط وربما لابد أن نحدد أهداف الطرفين من هذه العلاقة أولا ونرى إمكانية استمرارها أو التغييرات التى يمكن أن تطرأ عليها

الولايات المتحدة: على الجانب الأمريكى سوف نجد عددا من المصالح التى يسعى بوسائل متعددة للحفاظ عليها

أ- مصالح السمعة والهيبة: وهى نوع من المصالح ذات الطبيعة

السيكولوجية وفيه تسعى الدول إلى أن تجسد فى عقل الحكام للدول المختلفة فإن الولايات المتحدة ترغب فى أن ترسخ فى أذهان دول الشرق الأوسط حقيقة كونها دولة عظمى ذات قدرة كونية بما يعنيه ذلك من قدرة على الحسم وكجزء من هذه العملية فإنها ترغب فى أن تركز عملية الصراع العربى الإسرائيلى فى يدها، باعتبار ذلك يمثل نوعا من الهيمنة السياسية على قدرات المنطقة

ب- مصالح استراتيجية: هى التى تتعلق بتوازن القوى ببعديه العسكرى والتكنولوجى بين طرفين من الأطراف الدولية لذا فإن الولايات المتحدة ترغب فى أن تكثف وجودها فى المنطقة إلى أقصى حد فى الوقت الذى تسعى فيه إلى تقليص الوجود والنفوذ السوفيتى إلى أدنى مستوى

ج- المصالح السياسية والاقتصاد والديموجرافية التى كثيرا ما يمكن تقييمها فى ذاتها بغض النظر عن المصالح الأخرى

وبصفة عامة فإن الولايات المتحدة تعاملت مع العالم العربى من خلال ثلاثة أنواع من المداخل:

أولا: مدخل العلاقات الأمريكية السوفيتية وهنا نجد أن درجة التوتر فى هذه العلاقة، واشتداد التنافس بين العملاقين الدوليين فى ظل ظروف الحرب الباردة التى سادت فى الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية وحتى بداية الستينات، والحرب الباردة الجديدة التى تصاعدت منذ

النصف الثانى من السبعينات، وأخذت أبعادا جديدة مع تولى رونالد ريجان للسلطة فى الولايات المتحدة، وما زالت تهيمن على نمط النظام الدولى حتى الآن فى ظل هذا المدخل فإن الولايات المتحدة تنظر للعالم العربى كمنطقة للصراع مع الاتحاد السوفيتى، وتتأكد بصورة رئيسية مصالح السمعة والهيبة والمصالح الاستراتيجية، ويعد الأمن الإسرائيلى من المصالح الكامنة باعتبار إسرائيل الأداة الرئيسية فى اليد الأمريكية لمواجهة النفوذ السوفيتى فى المنطقة فى وجهة النظر الأمريكية ثانيا: مدخل الصراع العربى الإسرائيلى وهو مدخل تحاول الولايات المتحدة من خلاله أن تعزز الأنماط الثلاثة لمصالحها فى منطقة الشرق الأوسط من خلال محاولتها لإدارة هذا الصراع ومحاولة حله بطريقة تستبعد فيها الاتحاد السوفيتى وتؤكد سمعتها كقوة عظمى تدير الصراعات الدولية

ثالثا: مدخل العلاقات التالية وهو مدخل يسعى لتنمية العلاقات الاقتصادية بين طرفى العلاقات على أسس التعامل بين الولايات المتحدة وكل دولة عربية على حدة وقد سعت الولايات المتحدة إلى تنميته حتى فى ظل كل الأوقات التى انقطعت فيها العلاقات الدبلوماسية بين بعض هذه الدول وواشنطن ومن الملاحظ أنه مع مطلع الثمانينات فإن المدخل الأول يكاد يهيمن على هذه العلاقة، فالمواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات

المتحدة تمتد بامتداد العالم حتى الفضاء الخارجى، وتظهر آثار هذه المواجهة فى العالم الثالث من خلال حروب محلية تتدخل فيها الولايات المتحدة أحيانا (لبنان نيكارجوا والسلفادور أفغانستان) أو يتدخلون بطريق غير مباشر كما يحدث فى كمبوديا وتشاد كذلك فإن النقطتين الأساسيتين فى سياسة الوفاق بين الدولتين هما الأمن الأوربى والحد من سباق التسلح ويتعرضان الآن لخطر بالغ فالأمن الأوروبى يهدده نشر الطرفين لصواريخ نووية متوسطة المدى، وهو ما يجعل كليهما أقل أمنا عن ذى قبل والنتائج التى يمكن أن يؤدى غليها ذلك فيا يتعلق بالعلاقات الاقتصادية والثقافية التى نمت خلال فترة الوفاق النصف الأول من السبعينات كذلك فإن عدم تصديق الولايات المتحدة على معاهدة سالت الثانية والسعى لتحقيق درجة من التفوق التسليحى على الاتحاد السوفيتى كل هذه العوامل تشير إلى أن الحرب الباردة الجديدة سوف تستمر لفترة من الوقت فى المستقبل القريب

آفاق تطور العلاقات العربية-الأمريكية

اعتبرت الكثير من الأوساط السياسية في المنطقة التوجهات الأمريكية الجديدة في التعامل مع الشرق الأوسط، وفق برامج التدخل العسكري والاستخدام المفرط للقوة في العراق وفرض الإصلاح من الخارج والانحياز الكامل لإسرائيل، بوصفها برامج مخالفة لقواعد

الديمقراطية التي تروج لها الإدارة الأمريكية الحالية في العالم، وأنها تُقرأ في المنطقة كمعوق لتطوير العلاقات الأمريكية-العربية على أسس حضارية وإنسانية ومصلحية صحيحة وقد حاولت الولايات المتحدة تقديم برامجها آنفة الذكر كعوامل مساعدة على حل مشاكل العرب السياسية والاقتصادية، فتارة تقدم نفسها مخلصا من الحكم الدكتاتوري، وتارة تقدم نفسها راعيا لعملية السلام لحقن الدماء، وتارة تقدم نفسها كرائد في التقدم العلمي والتكنولوجي يعرض خبراته للعالم العربي لنقله حضاريا، وتارة تقف موقف المعلم والموجه للأمة العربية في الفكر والثقافة والتربية الاجتماعية بحجة أنها زعيمة العالم وقائد العالم المتمدن، وبذلت من أجل ذلك جهودا دبلوماسية وإعلامية مختلفة، غير أن الصورة التي لا تزال تصل إلى الشعوب العربية غير مريحة لمستقبل العلاقات العربية-الأمريكية الصحية وكان الانحياز الأمريكي لإسرائيل وعلى الأخص الاستخدام المفرط لحق النقض الفيتو في مجلس الأمن الدولي أمام أي قرار ربما يدين ممارسات إسرائيلية تخضع في دائرة المدان وفق المفاهيم والسياسات الأمريكية ذاتها عندما يتعلق الأمر بأي بلد في العالم، وحتى عندما ترتكب إسرائيل المجازر الوحشية أمام كاميرات التلفزة العالمية يلحظ ذات التعامل الأمريكي غير الحضاري مع هذه الممارسات، كانت تلك هي الصورة النمطية التي كرستها الإدارة الأمريكية عن نفسها في المنطقة وما أن اجتاحت القوات الأمريكية

العراق في فبراير ٢٠٠٣ بحجة احتواء خطر أسلحة الدمار العراقية المزعومة حتى تكشف للعالم العربي صورة أكثر بشاعة للولايات المتحدة،رسمتها هذه المرة أيدي العسكريين وغلاة التطرف المسيحي المتصهين الذين أمسكوا بتلابيب القرار السياسي والعسكري والأمني والاقتصادي في آن واحد بالولايات المتحدة بعد نجاح جورج بوش الابن في الوصول إلى البيت الأبيض منذ عام ٢٠٠١فقد تعاملت القوات الأمريكية المحتلة والغازية مع الشعب العراقي دون أي مقاييس حضارية أو إنسانية، سواء تعلق الأمر بقصف السيارات العائلية دون إنذار وقتل العائلة كاملة، أو مهاجمة حفل زفاف لتحويله إلى مأتم كبير، أو هدم البيوت أو قصف الطائرات العشوائي للأحياء المدنية في مختلف أنحاء العراق، أو ممارسة أبشع أنواع التعذيب في السجون التي زجت فيها آلاف العراقيين دون تهم أو محاكمات حتى عسكرية، مما أظهرها بالدولة الدكتاتورية والخارجة على القانون الدولي بالاجتياح وإسقاط النظام، ثم الاستباحة للحرمات الإنسانية، ثم الاعتماد الكبير على العنف والقوة المسلحة لتطويع الشعب العراقي تحت إدارة الاحتلال أو الحكومة المعينة من قبله لاحقا، وهو ما جعل تبشيرها بالحرية والديمقراطية وتخليص العرب من الحكم الدكتاتوري مجرد مزحة ثقيلة الوزن، وشعار لا أساس له، حيث ممارسة كبت الحريات والاغتيال والتخريب والملاحقة والاعتقال بسبب المعارضة لوجود قوات الاحتلال حتى لو لم يستخدم

البعض أي وسيلة من وسائل العنف ضد القوات الأمريكية، وإن ما جرى في الفالوجة وسامراء والرمادي والنجف وأحياء عديدة في بغداد وسجن أبو غريب هو مجرد صور متعددة لما تقوم به هذه القوات في كل أنحاء العراق وقد تمكن العقل العربي من جمع صورتين كل منهما أبشع من الأخرى، الصورة الإسرائيلية التي تمارس الإرهاب برعاية ودعم أمريكي وبالسلاح الأمريكي، والصورة الأمريكية التي تمارس ذات الوسائل في العراق مستفيدة من خبرات الإرهاب والوحشية الصهيونية بالخبراء أو بتدريب العناصر أو بالاطلاع على التجارب التي مورست في مجزرة جنين ونابلس وجباليا ورفح وخان يونس وبيت لاهيا وبيت حانون وغيرها، وهو يحمِّل الإدارة الأمريكية المسئولية الكاملة عن الصورتين معا، مما شكل عائقا نفسيا وحاجزا أمام بناء علاقات إنسانية صحيحة بين الشعب العربي والشعب الأمريكي من جهة، وبين الإدارة الأمريكية والحكومات العربية من جهة أخرى، حيث صعوبة التعامل إلا وفق الإدارة الأمريكية وتوجهاتها وفي ظل هذه الأجواء شرعت الولايات المتحدة باعتماد وتطبيق مشروعها للشرق الأوسط الكبير بعنوان الإصلاح والديمقراطية، والذي تمكنت من حشد الدول الصناعية الثمانية خلفه في يونيو ٢٠٠٤ الماضي، وعقد المؤتمر الأول لمنتدى المستقبل المنبثق عنه في المغرب في ديسمبر ٢٠٠٤ أيضا لتكريس ذات النهج، لكن الصيحات العربية الشعبية والرسمية الرافضة لفرض الأجندات الخارجية

ارتفعت وتعالت، وشرعت الولايات المتحدة بعقد صفقات مع عدد من الحكومات غير الديمقراطية في المنطقة، على قاعدة الابتزاز بالموقف السياسي والأمني والاقتصادي لصالح التوجهات والمصالح الأمريكية، في مقابل السكوت على توجهات هذه الحكومات غير الديمقراطية، بل إن بعض هذه الحكومات تراجع أداؤها الديمقراطي، وبدأ يستخدم العنف ويطبق القانون بتعسف، ويشرع من القوانين ما يحد من الحريات بحجة محاربة الإرهاب على الصعيد الإعلامي والأمني والاقتصادي والسياسي، وأحيانا بطلب رسمي من الولايات المتحدة ذاتها، مقلدا سيد النظام الدولي الجديد في ذلك، وتبدي الولايات المتحدة التأييد لهذه الحكومات والتوجهات بغض النظر عن حجم التراجع في الحريات السياسية العامة، فيما ركزت على نقد الجانب الاجتماعي المتعلق بتغريب المجتمعات وتبنيها للسلوك الاجتماعي الغربي بوصفه المدخل إلى الحرية وحقوق الإنسان وعليه فإن العلاقات الأمريكية-العربية بشقيها الرسمي والشعبي تعاني من اختناق كبير لم تمر به من قبل، وعنوانه الأساسي الدعم المطلق لإسرائيل واحتلال العراق وقهر شعبه، وفرض التوجهات والأيديولوجيا الأمريكية على المجتمعات العربية، فيما تبدي الاستعداد لدعم وتبني من يدخل بيت الطاعة هذا ليصطف معها لمواجهة قوى النهضة العربية وقوى المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي في العراق والإسرائيلي في فلسطين على حد سواء.

إن المصلحة في تحسين هذه العلاقات تتعلق بمستقبل علاقات الأجيال القادمة من الحكام والمفكرين والقادة الاجتماعيين والسياسيين لدى الطرفين، فالتداخل الاقتصادي والحاجة إلى التكنولوجيا والتعليم والإصلاح الإداري والمالي، والسعي وراء الحرية والديمقراطية والتعدد السياسي وحرية الاختيار والتعبير عن الفكر والاتجاه السياسي هي من أبرز حاجات الوطن العربي برمته، وتملك الولايات المتحدة الكثير من هذا لتقدمه للعالم العربي الذي كان ينظر إلى أمريكا كمصدر مهم وأساسي لإمداده بذلك كله، كما أن الولايات المتحدة أصبحت تعتمد اعتمادا كبيرا على النفط العربي بوصفه عصب الصناعة والتجارة الأمريكية ومصدر سيطرتها على حلفائها في الغرب والشرق (أوروبا واليابان)، وعلى منافسيها وخصومها في الشرق (الصين وروسيا)، وعلى البحار والأجواء العربية لتحقيق انفتاحها وتواصلها مع العالم الآخر، وفرض سيطرتها الدولية عليه في كل من آسيا وربما أفريقيا، كما أنها بحاجة ماسة لكثير من الطاقات العربية من الأطباء ومبرمجي الكمبيوتر والمهندسين.

ولذلك فإن من مصلحة الطرفين إعادة بناء هذه العلاقة على أسس جديدة تتعامل مع الواقع وتطمح نحو المستقبل باحترام متبادل واعتبار للمصالح كذلك متبادل، وإذا كانت مسألة إسرائيل تقف عائقا قديما في

وجه تنامي هذه العلاقات في بعض المجالات وخاصة العسكرية منها بسبب ضغوط اللوبي الصهيوني على الإدارات الأمريكية، فقد دخل الصراع في المنطقة والفشل الأمريكي في فرض النموذج الخاص بها على المنطقة مرحلة متقدمة، والفرصة اليوم لا تزال مواتية لتصحيح شامل ومتكامل لهذه العلاقة ليس عبر الاختراق والتهديد والعقوبات والتدخل في الشئون الداخلية بقوة السلاح وعبر الأمم المتحدة على حد سواء، إنما عبر الحوار والانفتاح وإغماد سيف القوة والغطرسة والتصنيفات التعسفية المتطرفة للدول والمنظمات والأحزاب والأفراد بمختلف أشكالها، وبإتاحة المجال للعقلاء ليرسموا خطوط وملامح هذه العلاقة المستقبلية التي يتمناها الطرفان لأجيالهم القادمة.

خاصة وأن نظرية علاقات السراب بين الطرفين قد انتشرت في المنطقة بسبب ما أشرنا إليه من ممارسات أمريكية غير مقبولة بمقاييس الدبلوماسية والقانونية والإنسانية والحضارية والحرية والديمقراطية، فيما لا بد من الشروع ببناء وحماية نظرية واقعية العلاقات وأهميتها وإمكان بنائها على قواعد إيجابية قد لا تخلو من بعض الخلاف هنا وهناك كما حصل في مفاصل سابقة، لكن الإطار العام والمحددات الأساسية يمكن لها أن تحتوي أو تحل مثل هذه الخلافات والأزمات دون أن تحولها إلى علاقات حرب أو مواجهة أو قطيعة أو عقوبات متبادلة،

فهل تتيقظ بعض الأوساط الواعية في الإدارة الأمريكية والولايات المتحدة لمعنى ودلالات هذه الرسالة العربية المعبرة عن الواقع والطموح لتبادر نحو بناء علاقات جديدة واقعية لمصلحة الأجيال القادمة؟

المراجع

١ ـ الموقف الأمريكي وقضية القدس ـ فؤاد سعد.

٢ ـ حدود التباين في العلاقات الإسرائيلية الأمريكية- صلاح عبد الله

٣ـ المشاريع الأمريكية حول القضية الفلسطينية، عبده الأسدي

٤ ـ دراسات في القضية الفلسطينية، د. محسن صالح

٥ ـ دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين ١٨٨٠ ــ ١٩١٤ـ نائلة الوعري .

٦ـ إسرائيل في خمسين عاما ـ المشروع الصهيوني من المجرد إلى الملموس، د. إلياس شوفاني

٧ـ مفهوم الترانسفير في الفكر الصهيوني (١٨٨٢ ـ ١٩٤٨) نور الدين مصالحة .

٨ـقراءة في تاريخ القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور إلى اليوم ـ وديع الخازن

٩ـ هل يكمن بعد الخطر الأحمر- الخطر الأخضر؟في: بيير بيارنيس

١٠- القرن الحادي والعشرون لن يكون أمريكيًّا - ترجمة مدني قصري

١١-الإسلام شريكًا فريتس شتيبات - ترجمة عبد الغفَّار مكَّاوي.

١٢-الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع جون إسبوزيتو- ترجمة هيثم فرحات.

١٣- الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء - محَمَّد عمارة.

١٤- معجم أسماء المستشرقين - يحيى مراد .

١٥- التسامُح -عصام عبد الله .

١٦- الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية -حاتم الطحاوي (محمد خليفة حسن).

١٧- الاستشراق الروسي -سهيل فرح.

١٨- أبعاد الاستهداف الأمريكي - خلف الجراد.

١٩- المستشرقون -نجيب العقيقي.

٢٠- المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين -جورج قرم.

٢١ـ قيمنا المعرَّضة للخطر- جيمي كارتر-ترجمة محمد محمود التوبة.
٢٢ـ صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية بهجت قرني، وآخرين.

٢٣ـ الإسلام والدولة ـ برنارد لويس.

٢٤ـ الإسلام فوبيا (عقدة الخوف من الإسلام) مصطفى الدبَّاغ

٢٥ـالإسلامفوبيا- ألان جريش- ترجمة وتعليق إدريس هاني٠
٢٦ـ إنسان بأصوات متعدِّدة ـ محمد علي الخالدي .
٢٧ـ صنَّاع الشرِّ ـ أحمد شاهين .